سادسا: انها كانت تركز باستمرار على «ماذا» تريد، ولكن من دون تحديد «كيف».

* * *

■ المجموعة الثانية، أي «استراتيجية ما بعد النكبة وقيام الكيان الصهيوني»، والممتد ما بين ١٩٤٨ حتى ١٩٦٣، يوم دعا عبد الناصر الى أول مؤتمر للقمة العربية.

ليس هناك ما تجدر الاشارة اليه، حول «الاستراتيجية العربية» الواحدة، في هذه الفترة. إذ أنه نتيجة للنكبة وضياع فلسطين، تحوّل الاهتمام السياسي العربي الرسمي، للدفاع عن الأنظمة العربية المهزومة. وشهدت هذه الفترة، ولا سيما في الخمسينات بالذات، سلسلة من الانقلابات، والانتفاضات، والثورات، ضد ما كان قائما من حكومات وأنظمة. وكان التبرير المشترك لكل هذه التحركات، وفي كل الساحات التي شهدتها، هو «التقصير» في موضوع فلسطين.

ولا ريب في أن أهم وأبرز عملية تغيير طرأت على الساحة العربية، في هذه المرحلة، كانت ثورة ٢٣ تموز (يوليو) في مصر، التي أطاحت بأحدى أهم الملكيات العربية، على يد طليعة من الضباط الوطنيين، الذين استوعبوا الكارثة القومية بمعظم أبعادها، ووضعوا أصابعهم على بعض مكامن الضعف والمسؤولية في كل ما حدث.

ومما ميّز ثورة تموز (يوليو) المصرية على غيرها، أنها فوق وعيها لمشاكل مصر الوطنية، استطاعت أن تعي أهمية الواقع العربي ومشكلاته، وما يربط بين جماهير الأمة الواحدة، من صلات هي أعمق وأمتن من الروابط الرسمية المتجسدة في السفارات واطار الجامعة العربية.

ومع بروز شخصية عبد الناصر، كزعيم قومي، فان الاستراتيجية الناصرية حلّت محل الاستراتيجية العربية التقليدية. ومرّ على عبد الناصر، حين من الدهر، لم يعر خلاله الجامعة العربية أكثر مما تستحقه من الاهتمام، فاقتصر نشاطها على أمور وقضايا هامشية، بينما تولى هو، من القاهرة، قيادة الأمة العربية بوحي من سياسته القومية التي طالما شرحها وحدد أبعادها.

وعلى الرغم مما كان للخط الناصري الاستراتيجي من عداوات، إلا أنه بقي الخط المسيطر حتى سنة ١٩٦٧، والهزيمة التي لحقت بمصر عسكريا.

ومع أن محور هذا الحديث، يتناول الاستراتيجية العربية المشتركة أو الواحدة، إلا أنه لابد من الاشارة هنا، وبكل الأمانة، الى ضرورة دراسة استراتيجية عبد الناصر ونقدها، لأنها تبقى في رأيي من أهم ما عرف العرب، وما صاغوا من استراتيجيات.

ولو لم تكن استراتيجية عبد الناصر، ولا سيما في بُعدها المستقبلي، مهددة بالفعل للتحالف الصهيوني – الامبريالي، لما تعرضت ثورة عبد الناصر لكل ما تعرضت اليه من هجمات ومؤامرات حتى وقعت نكسة ١٩٦٧. ومن يطالع حقائق الموقف الاميركي، بالذات، من عبد الناصر، يتأكد حينئذ أن ما من ثورة في العالم الثالث تعرضت لما تعرضت له ثورة تموز (يوليو)! وان ما من زعيم ثوري، تعرض لما تعرض له عبد الناصر.